

العدد السادس عشر - إبريل 2017

أبو الوليد الباجي الأندلسي وآثاره الفقهية

د. عادل عبدالعزيز غيث الحسنوني.

(استاذ مساعد في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية الآداب والعلوم – المرج – جامعة بنغازي - ليبيا)



العدد السادس عشر - أبريل 2017

أبو الوليد الباجي الأندلسي وآثاره الفقهية

تمهيد :

ازدهرت الدراسات الفقهية على مذهب الإمام مالك أواخر عصر الخلافة في الأندلس خاصة إبان حكم الخليفة الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م)، والحاجب المنصور بن أبي عامر (366-399هـ/976-1008م) وبدايات عصر الطوائف حيث أقبل الناس على موطأ الإمام مالك يشرحونه ويفصلون معانيه فكثرت التصانيف والشروحات عليه، وانبرى في ذلك نخبة من الفقهاء أمثال ابن عبد البر وأبي الوليد الباجي، فلا يُذكر المذهب المالكي في الأندلس إلا ويُذكر هؤلاء الفقهاء كونهم شيوخ ذلك العصر في الفقه المالكي، ونتيجة للفتنة التي عمت الأندلس عقب سقوط الخلافة الأموية فقد لجأ نخبة من هؤلاء العلماء إلى شرق الأندلس قاصدين مملكة دانية والجزائر الشرقية ليعيشوا في كنف ملكها مجاهد العامري لما عُرف عنه من حب وتوقير للعلم وأهله، فألفوا في ظل سلطانه المؤلفات الفقهية الزاخرة والتي تدل على الموسوعية العلمية الباهرة لفقهاء ذلك العصر.

وللنهضة الفقهية الزاخرة التي شهدتها الأندلس خلال ذلك العصر فقد جاء موضوع البحث لتسليط الضوء على انجازات أحد أعلام النخبة للمدرسة المالكية الفقهية الأندلسية ألا وهو الإمام الفقيه المحدث أبو الوليد الباجي الأندلسي؛ وذلك بالبحث والتقصي عن بيبنته العلمية التي عاش فيها وشيوخه ورحلاته العلمية شرق البلاد الإسلامية وغربها ولقائه للعلماء وأخذهم عنهم الإجازات العلمية رواية وسماعاً وأشهر طلابه وأهم مؤلفاته وآثاره الفقهية، ومن ثم أثره وتأثيره في الأندلس وأخيراً وفاته وثناء علماء عصره وأقرانه ومن بعدهم من السلف عليه، متبعاً في ذلك المنهج التاريخي الوصفي السردى للوصول بالبحث إلى النتائج المرجوة منه إن شاء الله.

ب - أبو الوليد الباجي: (403-474هـ/1012-1081م)⁽¹⁾:

هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي⁽²⁾ التميمي الباجي القرطبي الأندلسي الفقيه المالكي الحافظ إمام المسلمين في عصره، والباجي بن باجة الأندلس⁽³⁾ خلافاً لما ذهب

(1) عن ترجمته انظر: ابن ماكولا: الإكمال في رفع الارتباب، 1، ص468؛ ابن خاقان: قلاند العقيان، ص196-198؛ ابن بسم: الذخيرة، قسم1، 2، ص80-88؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك، 2، ص347-352؛ ابن بشكوال: الصلة، 1، ص175-177؛ الأصبهاني: خريدة القصر، قسم المغرب والأندلس، 3، ص472، 473؛ الضبي: بغية الملتبس، ص302، 303؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، 3، ص393-400؛ الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، 1980م، 1، ص103؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، 2، ص408؛ ابن عذاري: البيان المغرب، 1، ص404، 405؛ محمد بن عبدالله السبتي: إفادة النصيح بالتعريف بسند الجامع الصحيح، تحقيق: محمد الحبيب الخوجة، مطبعة الشركة التونسية، ص16؛ القاسم بن يوسف السبتي: مستفاد الرحلة والاعترا، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، تونس، بدون تاريخ، ص323-326؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، 3، ص1178-1183؛ الكتبي: فوات الوفيات، 2، ص64؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ص440 - طبقات المفسرين، ص13، 14؛ الداودي: طبقات المفسرين، 1، ص202-207؛ المقرئ: نفح الطيب، 2، ص272-284؛ صديق بن حسن خان القنوجي: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، المطبعة الهندية العربية، بدون مكان، 1963م، ص56؛ محمد باقر الموسوي، الأصبهاني: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق ناصر خسرو، دار الكتاب العربي، بيروت، 1971م، 4، ص83؛ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: فهرس الفهارى والإثبات ومعجم المعاجم والمشايخات والمسلسلات، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1982م، 1، ص212؛ محمد عابد الفاسي: فهرس مخطوطات خزنة القرويين، مطبوعات أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1980م، 1، ص175، 176؛ عبدالله كنون أدب الفقهاء، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون مكان، ص57-59.

(2) التجيبي نسبة إلى تُجَيْب بنت ثوبان المذحجية زوجة أشرس بن شبيب بن السكون، وإليها ينسب بنو تجيب = ابن الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب، 1، ص24.

(3) ابن بسم: الذخيرة، قسم2، 1، ص80؛ ياقوت: معجم الأدباء، 3، ص393؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، 2، ص409.

العدد السادس عشر - أبريل 2017

إليه اليافعي⁽⁴⁾ والذهبي في أحد قوليه نقلاً عن ابن عساكر حيث قال: "إن أبا الوليد كان قد أتى من باجة القيروان تاجراً يختلف إلى الأندلس⁽⁵⁾ ونسبته إلى باجة القيروان لا تصح لانفراد الذهبي بها، ونقل اليافعي عنه، إذ أن أصل أبائه من بطليوس ثم انتقلوا إلى مكان يدعى باجة بليدة - قرب أشبيلية، فنسب إليها، كما مر سابقاً ولعل ذلك بسبب الفتنة التي عمت الأندلس مما دفعهم كغيرهم من التنقل من مكان لآخر⁽⁶⁾."

كان مولد الإمام أبي الوليد الباجي يوم الثلاثاء في النصف من ذي القعدة سنة (403هـ/1012م) بمدينة بطليوس⁽⁷⁾ وفي ذلك يقول أبو علي الغساني فيما ينقله عنه ابن بشكوال: "سمعت أبا الوليد يقول مولدي في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة"⁽⁸⁾.

نشأ الإمام أبو الوليد في بيت علم وصلاح، وفي ذلك يقول القاضي عياض: "وكان له إخوة جلة نبلاء وبيته بيت علم ونباهة"⁽⁹⁾ فأبوه خلف كان رجلاً متديناً محباً للعلم وصفه الإمام أبو الوليد في وصيته لولديه بقوله: "وكان أوفر الصلاح والتدين والتورع والتعبد في جدكم خلف، كان مع جاهه وحاله، واتساع ديناه منقبضاً عنها متنقلاً منها، قد أقبل على العبادة والاعتكاف إلى أن توفي رحمه الله"⁽¹⁰⁾.

استقر والد أبي الوليد الباجي في قرطبة ولازم الفقيه أبا بكر محمد بن موهوب القبري، وحصل بينهما تعارف فزوجه الفقيه القبري ابنته وكانت فقيهة صالحة قال عنها ابن غزلون الأموي عند حديثه عن مولد الإمام أبي الوليد: "رأيت مولده بخط أمه وكانت فقيهة"⁽¹¹⁾ بيد أن هذه المصادر لم تذكر اسم هذه الزوجة ولا تاريخ ميلادها ووفاتها، واكتفت بالقول أنها كانت حية سنة (439هـ/1047م) وذلك من خلال كلام الباجي نفسه أن أمه ألحّت عليه بالعودة في رسالة بعثتها إليه وهو في حلب قائلاً: "إلى أن استدعاني إلى المغرب من كان بها من الوالدة والأخوة والأهل، فخرجت منها في صدر تسع وثلاثين وأربعمائة"⁽¹²⁾، ولاشك أنه تأثر بأمه الفقيهة التي لم يكن للأندلسيين آنذاك أن يصفوها بالفقيهة لو لم تكن كذلك، فكانت أمه بحق هي المدرسة الأولى التي نهل منها العلم منذ نعومة أظفاره فنشأ محباً للعلم ومن شَبَّ على شيء شاب عليه.

وأما عن أخوته وأعمامه فقد أجملهم أبو الوليد كذلك في وصيته لولديه مبيناً فضلهم وأنهم أهل دين وصلاح بقوله: "وأعلمنا أننا أهل بيت لم نخل بفضل الله من صلاح وتدين وعفاف وتصاؤون، فكان بنو أيوب بن وارث عفا الله عنا وعنهم أجمعين: جدنا سعد، ثم كان بنو سعد: سليمان وخلف وعبد الرحمن وأحمد، ثم كان بنو خلف عمّاكنا: علي وعمر وأبوكم سليمان، وعمّاكنا: محمد وإبراهيم، فلم يكن في أعمامكنا إلا مشهور بالحج والجهاد والصلاح والعفاف، حتى ثوقوا على ذلك عفا الله عنا وعنهم"⁽¹³⁾.

-
- (4) القاضي عياض: ترتيب المدارك، 2، ص348.
(5) مرآة الجنان: 3، ص109.
(6) تذكرة الحفاظ، 3، ص1182.
(7) ابن بشكوال: الصلاة، 1، ص177؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك، 2، ص348؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 5، ص114؛ السيوطي: طبقات المفسرين، ص14؛ الداودي: طبقات المفسرين، 1، ص202؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ص120؛ المقرئ: نفح الطيب، 2، ص281؛ عبدالله مصطفى المراغي: الفتح المبين في طبقات الأصوليين، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1974م، 1، ص252.
(8) ابن بشكوال: نفسه، 1، ص177.
(9) ترتيب المدارك، 2، ص349.
(10) ابن خاقان: قلاند العقبان، ص197؛ مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد 3، مدريد، 1955م، 1، ص11.
(11) عبد القادر بدران: تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر، دار المسيرة، ط2، بيروت، 1979م، 6، ص251.
(12) عبدالله محمد بن علي الأزرق: روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، مخطوط بالخزانة الحسينية بالرباط تحت رقم 2568، ورقة 104.
(13) مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد 3، 1، ص31.

العدد السادس عشر - أبريل 2017

نستخلص من هذا النص أن أباه كان ثاني أربعة أخوة ألا وهو خلف، وكان هو أي سليمان أوسط خمسة ذكور لأن قصد الترتيب واضح من كلامه، واكتفى آخر كلامه عنهم بإجمالهم بصفات الحج والجهاد والتدين دون أن يذكر ما لكل منهم من صفة مشهور بها من بين هذه الصفات.

وأما عن أولاده فله من الولد اثنان هما: أبو القاسم أحمد بن سليمان⁽¹⁴⁾، وأبو الحسن محمد بن سليمان الذي قال عنه القاضي عياض: "كان نبيلاً ذكياً مرجواً"⁽¹⁵⁾، وتوفي أبو الحسن في حياة أبيه بسر قسطة سنة (472هـ/1079م)⁽¹⁶⁾، وقد رثاه أبوه بقوله:

أمحمداً إن كنت بعدك صابراً صبر السليم لما به لا يسلم

ورزئت قبلك بالنبي محمد ولرزؤه أدهى لدى وأعظم

فلقد علمت بأنني بك لا حق من بعد ظني أنني متقدم

لله ذكر لا يزال بخاطري متصرف في صبره متحكم

فإذا نظرت فشخصه متخيل وإذا أصخت فصوته متوهم

وبكل أرض لي من أجلك لوعة وبكل قبر وقفة وتلوم

فإذا دعوت سواك حاد عن اسمه ودعاك باسمك معول بك مغرم

حكم الردى ومناهج قد سنها لأولى النهي والحزن قبل مُتمم⁽¹⁷⁾

- طلبه للعلم وأشهر شيوخه في الأندلس:

نشأ أبو الوليد الباجي في بيئة علمية بين أحضان والدته الفقيهة وخاله أبي شاعر عبد الواحد بن موهوب وغيره من شيوخ الأندلس، ينتقل من مدينة لأخرى للأخذ عنهم، ولما حصل على ما يكفيه من علوم اللغة العربية والآداب والفنون مال إلى علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والأصول والكلام، فكان أشهر من أخذ عنهم الإمام الباجي العلم في الأندلس قبل رحلته للمشرق:

1- أحمد بن محمد الغافقي السرقسطي؛ يُكنى بأبي عمر⁽¹⁸⁾، أخذ عنه أبو الوليد الباجي كتاب الواضحة في الفقه المالكي لعبد الملك بن حبيب⁽¹⁹⁾.

(14) سافرد له ترجمة ضمن الحديث عن أشهر تلاميذ أبيه.

(15) ترتيب المدارك، 8، ص126.

(16) ابن بشكوال: الصلاة، 2، ص432.

(17) ابن خاقان: قلاند العقيان، ص196؛ ابن بسام: الذخيرة، القسم 2، 1، ص85؛ المقرئ: نفح الطيب، 2، ص281.

(18) المراكشي: الذيل والتكملة، 1، ص532.

(19) ابن الأبار: التكملة، 1، ص42.

العدد السادس عشر - أبريل 2017

- 2- **خلف بن أحمد بن خلف الأنصاري الرهوني الطليطلي الرحوي؛** يكنى بأبي بكر، أخذ عنه أبو الوليد الباجي الفقه في طليطلة، توفي سنة (420هـ/ 1029م)⁽²⁰⁾.
- 3- **خلف الجعفري؛** يكنى بأبي سعيد، أخذ عنه الباجي علوم القرآن، وأجاز للباجي كتب أبي جعفر النحاس في علوم القرآن وهي: ناسخ القرآن ومنسوخه، وإعراب القرآن، والعالم والمتعلم في معاني القرآن، توفي سنة (425هـ/ 1033م)⁽²¹⁾.
- 4- **عبد الواحد بن محمد بن موهب التجيبي القبري؛** يكنى بأبي شاعر خال أبي الوليد الباجي، وهو من أهل العلم بالحديث والفقه والعربية والكلام، أخذ عنه أبو الوليد العلم في قرطبة ولازمه منذ نعومة أظفاره، توفي سنة (456هـ/ 1063م)⁽²²⁾.
- 5- **عيسى بن خلف بن عيسى بن أبي درهم الوقشي؛** يكنى بأبي الأصبع، أجاز لأبي الوليد الباجي بوشقة كتاب: عشرة يحيى بن يحيى الليثي، وكتاب: المجالس لأصبع بن الفرج، وكثير من مروياته⁽²³⁾.
- 6- **مكي بن أبي طالب القيسي المالكي** يكنى بأبي محمد؛ عالم الأندلس في القراءات، راوية مقرئاً أديباً متقناً، ألف ما يربو على تسعين كتاباً في علوم القرآن منها: الكشف عن وجوه القراءات السبع، مشكل إعراب القرآن، الإبانة عن معاني القرآن، وقد روى عنه أبو الوليد الباجي كثيراً من كتبه توفي سنة (437هـ/ 1045م)⁽²⁴⁾.

- رحلته للمشرق: (426-439هـ/ 1034-1047م):

بعد أن استفاد الإمام أبو الوليد الباجي من التردد على كبار الشيوخ والعلماء بالأندلس، وعلم ما للترحل بين أمصار بلده من مزايا في التلقي على أكثر من واحد من العلماء، قرر الرحلة إلى المشرق أسوة بغيره ممن سبقه من طلاب العلم وذلك لارتشاف العلم من ينابيعه ولللقاء كبار العلماء في مصر ومكة وبغداد والشام، وكان عمره وقتذاك ثلاثاً وعشرين سنة⁽²⁵⁾، وفي هذا الموقف الرهيب والحاسم من حياته وهو يشد الرحال للسفر، أنشد أبو الوليد أبياتاً من الشعر يقول فيها :

ليس عندي شخص النوى بعظيم فيه غم وفيه كشف غموم

إن فيه اعتناقة لوداع وانتظار اعتناقة لقدم⁽²⁶⁾

1 - مصر:

كانت مصر أولى محطات الإمام أبي الوليد الباجي شأنه في ذلك شأن من سبقه من طلاب العلم الأندلسيين، وذكرت المصادر أنه التقى فيها بالفقيه المالكي أبي محمد عبدالله بن الوليد بن سعد الأنصاري الأندلسي نزيل مصر، روى عنه أبو الوليد الباجي كتب أبي جعفر النحاس في علوم القرآن، كما روى عنه رسالة الإمام مالك لعبد الله بن وهب في الرد على القدريّة⁽²⁷⁾، فقال عنه ابن بشكوال في

(20) الضبي: بغية الملتبس، ص294؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ص183.

(21) ابن خير الإشبيلي: الفهرست، صص 65-66.

(22) الحميدي: جذوة المقتبس، ص420؛ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 1، ص230؛ الذهبي: العبر في خبر من غير، 3، ص238.

(23) ابن بشكوال: الصلة، 2، ص348؛ ابن سعيد: نفسه، 2، ص460.

(24) الذهبي: القراء الكبار، 1، ص316؛ اليافعي: مرآة الجنان، 3، ص53؛ ابن الجزري: غاية النهاية، 2، ص309.

(25) القاضي عياض: ترتيب المدارك، 2، ص347.

(26) ياقوت: معجم الأدباء، 3، ص1389.

(27) الذهبي: العبر، 3، ص216؛ اليافعي: مرآة الجنان، 3، ص66؛ الحنبلي: شذرات الذهب، 3، ص288.

العدد السادس عشر - إبريل 2017

صلته: "كان ثقة فيما رواه، ثبتاً ديناً فاضلاً، حافظاً للرأي مالكي المذهب خرج من مصر إلى الشام سنة سبع وأربعين وأربعمئة، وتوفي فيها في رمضان سنة ثمان وأربعين وأربعمئة"(28).

2 - مكة :

اتجه الإمام الباجي من مصر إلى مكة المكرمة إلا أن المصادر لم تذكر السنة التي خرج فيها من مصر إلى مكة إلا أنها ذكرت أنه بقي في مكة أزيد من ثلاث سنوات حج فيها أربع مرات والتقى بثلة من العلماء فيها نترجم لهم على النحو الآتي:

- **عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن غفير، الشهير بأبي ذر الهروي المالكي الأشعري الحافظ**(29)، أصله من هراة إحدى قرى أصبهان(30)، قال عنه القاضي عياض: "نزل مكة وجاور بها أزيد من ثلاثين سنة"(31)، إمام ثقة ناشرٌ للعلم، له مصنفات جليلة في الحديث وعلومه، التقى به الباجي في مكة ولازمه أكثر من ثلاث سنوات، وكان الباجي يخدمه طيلة هذه المدة وذكره في جملة شيوخه الذين أخذ عنهم، وروى عنه كتاب الجامع الصحيح للبخاري وغيره من الكتب، توفي الإمام أبو ذر بمكة في ذي القعدة سنة (434هـ/1042م)(32).
- **محمد بن سعيد بن سختهويه الأسفرائيني**، يكنى بأبي بكر وروى عنه أبو الوليد الباجي مؤلفات عدة منها: "أسامي من روى عنهم البخاري"(33).
- **محمد بن علي بن أحمد بن محمود الوراق**، يكنى بأبي عبد الله، التقى به أبو الوليد الباجي بمكة وروى عنه(34).

3 - بغداد:

قصد أبو الوليد الباجي العراق بعد مكة واستقر بمدينة بغداد وذلك سنة (434هـ/1043م)، ومكث فيها ثلاثة أعوام يدرس العقيدة والحديث والفقه على يد الحفاظ والأئمة الأعلام الذين تزخر بهم مدينة العلم ببغداد(35)، ومن هؤلاء الحفاظ والأئمة الذين التقى بهم الباجي في بغداد:

- **إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الشافعي**، يكنى بأبي إسحاق(36)، أخذ عنه أبو الوليد ببغداد علم أصول الفقه والجدل، وكثيراً ما ينقل عنه الباجي في كتبه: المنهاج في ترتيب الحجاج، وأحكام الفصول في أحكام الأصول، والمنتقى في شرح الموطأ، حيث يقول: "ذكر شيخنا أبو إسحاق الشيرازي، وعلى ما ذكره شيخنا أبو إسحاق" وغير ذلك من العبارات التي تدل على تلقي أبي الوليد الباجي من شيخه الشيرازي، توفي سنة (476هـ/1083م)(37).

(28) الصلة: 1، ص232.
(29) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، 11، ص141؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، 37، ص390؛ ابن ماكولا: الإكمال، 3، ص334؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، 3، ص1103.
(30) ياقوت: معجم البلدان، 1، ص53.
(31) عياض: ترتيب المدارك، 2، ص276.
(32) السبتي: إفادة النصيح، ص45.
(33) عياض: الغنية، ص134.
(34) عياض: الغنية، ص134.
(35) عياض: ترتيب المدارك، 2، ص348.
(36) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 8، ص432؛ الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب، 2، ص451؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، 1، ص29؛ أبوبكر بن هداية الله الحسيني: طبقات الشافعية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ، ص170؛ الحنبلي: شذرات الذهب، 3، ص349؛ اليافعي: مرآة الحيان، 3، ص110.
(37) عياض: ترتيب المدارك، 2، ص348.

العدد السادس عشر - أبريل 2017

- إبراهيم بن عمر بن أحمد بن إبراهيم بن بهران البرمكي البغدادي الحنبلي، يكنى بأبي إسحاق، التقى به أبو الوليد ببغداد وروى عنه، توفي سنة (441هـ/1049م) (38).
- أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد المعروف بأبي بكر الخطيب البغدادي الشافعي حافظ المشرق، والمحدث الكبير (39)، صنف ما يقرب من ستة وخمسين مصنفاً في مختلف علوم الحديث، ومن مصنفاته: تاريخ بغداد، والكفاية في علم الرواية، والرحلة في طلب الحديث، والفتاوى، واقتضاء العلم بالعمل (40)، قال عنه القاسمي: "أن المحدثين بعده عيال على كتبه" (41)، سمع منه أبو الوليد الباجي كثيراً من مصنفاته ومروياته منها: الفصل للوصول المدرج في النقل، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، وتقييد العلم، وشرف أصحاب الحديث، توفي الخطيب البغدادي سنة (463هـ/1070م) (42).
- محمد بن عبيد الله بن أحمد بن عمرو، يكنى بأبي الفضل أمام المالكية ببغداد، أخذ عنه أبو الوليد الباجي الفقه وروى عنه مؤلفات القاضي عبد الوهاب المالكي ومنها: الإشراف في مسائل الخلاف، وشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، والمعونة لدرس مذهب عالم المدينة، والملخص في أصول الفقه، توفي أبو الفضل سنة (452هـ/1060م) (43).
- محمد بن علي بن عبد الله الصوري الحافظ، يكنى بأبي عبد الله (44)، روى عنه الباجي كتاب الاستدراك للدارقطني (45)، وقال الباجي عنه: "الصوري أحفظ من رأيناه" (46)، وقال عنه أيضاً: "لزممت الصوري ثلاثة أعوام فما رأيتُهُ تعرض للفتوى" (47)، توفي الصوري سنة (441هـ/1049م) (48).
- محمد بن علي بن الفتح الحربي البغدادي، يكنى بأبي طالب العشاري، روى عنه الباجي كتاب: الأفراد والغرائب للدارقطني، توفي سنة (451هـ/1059م) (49).
- عبد الله بن أبي الفتح الصيرفي الأزهرى الدمشقي البغدادي، يكنى بأبي القاسم، قال عنه الخطيب البغدادي: "كان أحد المكثرين من الحديث كتابةً وسماعاً، ومن المعنيين به والجامعين له مع صدق وأمانة وصحة واستقامة" (50)، وقد ذكره الباجي من ضمن شيوخه الذين حدث عنهم، توفي سنة (435هـ/1043م) (51).

(38) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، 6 ص 139؛ الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص 174.
(39) ياقوت: معجم الأدياء، 1 ص 120؛ ابن عساكر: تبين كذب المفترى، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، 1979م، ص 268؛ الجزري: اللباب، 1 ص 453؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، 2 ص 187؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، 1 ص 564؛ السبكي: طبقات الشافعية، 3 ص 12.
(40) الذهبي: تذكرة الحفاظ، 3 ص 1139.
(41) محمد جمال الدين القاسمي: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، 1979م، ص 41.
(42) الأشيبلي: الفهرست، ص 260-261.
(43) الصفدي: الوافي بالوفيات، 4 ص 8؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ص 273؛ مخلوف: شجرة النور الزكية، 1 ص 105.
(44) البغدادي: تاريخ بغداد، 3 ص 103؛ الذهبي: العبر في خبر من غير، 3 ص 197.
(45) الأشيبلي: الفهرست، ص 204.
(46) الذهبي: تذكرة الحفاظ، 3 ص 1115.
(47) نفسه، 3 ص 1116.
(48) البغدادي: نفسه، 3 ص 103.
(49) نفسه، 3 ص 107.
(50) البغدادي: تاريخ بغداد، 10 ص 385.
(51) الذهبي: العبر، 3 ص 183؛ ابن الجزري: غاية النهاية، 1 ص 485.

العدد السادس عشر - أبريل 2017

- عبد الواحد بن علي بن عمر بن برهان العكبري الأسدي النحوي، يكنى بأبي القاسم⁽⁵²⁾، قال عنه الباجي: "أخذت عن الشيخ أبي القاسم عبد الواحد بن برهان، وكان واحد بغداد في العربية"⁽⁵³⁾، توفي سنة (456هـ/1063م)⁽⁵⁴⁾.

4 - الموصل :

انتقل أبو الوليد الباجي من بغداد إلى الموصل للقاء فقيه الموصل محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد السمناني الأشعري الحنفي، وهو من كبار فقهاء المذهب الحنفي، يكنى بأبي جعفر، أقام معه أبو الوليد الباجي قرابة العام يدرس الفقه والعقيدة والأصول، فأخذ عنه الباجي جُلّ كتبه وأدخلها معه إلى الأندلس، توفي السمناني سنة (444هـ/1052م)⁽⁵⁵⁾.

5 - الشام :

دخلها أبو الوليد الباجي عقب خروجه من الموصل وذلك أواخر عام (437هـ/1045م) وقصد مدينة حلب، وكان قد غلب على أهلها التشيع فدارت بين الباجي وعلماء الشيعة فيها مناظرات أفحم فيها الباجي خصومه الشيعة فعلا ذكره في الناس، وانتشر مذهب أهل السنة في حلب وقربه صاحبها الأمير معز الدولة إليه، فمكث في حلب قرابة السنتين يدرس الحديث والفقه المالكي، وكان يحضر مجلسه الجم الغفير من الناس، وفي ذلك يقول أبو الوليد الباجي: "ورغب إلى أهل العلم في المقام بها وقالوا لي: أنت مستقبل الشتاء وليس بوقت سفر، وأنت تقيم بصور أو غيرها إلى وقت السفر، فاجعل مقامك عندنا، وظهر من قلق المتشيعين فيها ما شاع، وبلغ السيدة بنت ابن رباب وكانت من أهل السنة وقصدت مجلسي وبلغ الأمر زوجها الأمير معز الدولة ثمال بن أبي علوان بن صالح الكلابي صاحب حلب في ذلك الوقت، وكان قد أفسد مذهبه معلم شيعي قرأ عليه، فكانت زوجته السيدة بنت رباب تصرفه عن ذلك فلا تقدر عليه فوجدت السبيل بي إليه، ورغب في أن يلقاني فلقيته مراراً، وانصرف عن ذلك الرأي الفاسد على ما أظهر، وكلمت بين يديه المخالفين وبلغ به الميل إلى ضرب بعض الشيعة المتعصبين وأخرجهم من البلد وظهرت كلمة السنة، وقعدت لإقراء كتاب البخاري، وحضرت السيدة بنت رباب قراءته جميعه، وحضر الجم الغفير من الناس بعد مناظرتهم لي، وأنسوا بما فيه من فضائل الصحابة، وبقيت عندهم بقية عام سبعة وثلاثين وعام ثمانية وثلاثين، وقد قرأ على جماعة من أهل تلك الجهة وفشت فيهم السنة، وكانت الفتوى فيها على مذهب مالك رحمه الله مدة مقامي بها، إلى أن استدعاني إلى المغرب من كان بها من الوالدة والأخوة والأهل، فخرجت منها في صدر تسع وثلاثين وأربعمائة"⁽⁵⁶⁾.

وكان أبو الوليد الباجي أثناء إقامته في حلب قد التقى بعض الشيوخ والعلماء فأخذ عنهم العلم والفقه ومن أبرزهم:

- عبدالرحمن بن عبد العزيز بن السراج الحلبي، يكنى بأبي القاسم، لقيه أبو الوليد الباجي بحلب وأخذ عنه الفقه⁽⁵⁷⁾.

(52) السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص317؛ الحنبلي: شذرات الذهب، 3، ص297.

(53) الأزرق: روضة الناظر، ورقة 103.

(54) الكتبي: فوات الوفيات، 2، ص414.

(55) عياض: ترتيب المدارك، 2، ص348.

(56) الأزرق: روضة الأعلام، ورقة رقم 102، 103.

(57) الذهبي: تذكرة الحفاظ، 3، ص1179.

العدد السادس عشر - أبريل 2017

- علي بن موسى بن الحسين بن السمسار، يكنى بأبي الحسن، مُسند دمشق في وقته، حَدَّث بصحيح البخاري عن أبي زيد المروزي وله سماعات عاليه(58)، أخذ عنه أبو الوليد الباجي إلا أنه قال فيه: "أبو الحسن بن السمسار شيخ فيه تشيع وتشيعه يتجاوز به حد الرفض"(59).

هؤلاء هم شيوخ الإمام أبي الوليد المحدث الحافظ الذي جند نفسه لسماع الحديث وكتابته وجمعه وشرحه، وارتحل في طلبه إلى مصر والحجاز والعراق والشام فضلاً عن مدن الأندلس، يُنْقَب عن مراكز الثقافة والعلم والعلماء شرقاً وغرباً، فيأخذ العلم من ذوي الكفاءة، ويشغل بالحديث رواية ودراية ويطلع على كثير من تراجم الرواة، فعلم وعلم وعمل بما علم بقريحة فذة وطموح نادر، فأصبح يتمتع بثقافة موسوعية قل نظيرها، غير مقتصر على السماع وحسب، بل يكتب ويؤلف ويجلس لتدريس الحديث، ويجادل وينظر دفاعاً عن السنة النبوية، زد على ذلك معرفته بالأسانيد جرحاً وتعديلاً، وتمييزه للأحاديث صحيحها من سقيمها ينقحها ويستنبط الأحكام الشرعية منها على اختلاف المحدثين والفقهاء والأصوليين فيها.

لقد كان الإمام أبو الوليد الباجي طيلة رحلته العلمية إلى المشرق الإسلامي يعيش من كسب يده، ففي مكة خدم أسرة أبي ذر الهروي أكثر من ثلاث سنوات مقابل أجر يسير يعيش منه، وفي بغداد اشتغل بحراسة إحدى دروبها ليلاً يستعين بضوء مصابيح الحراس للمطالعة مقابل أجر يسير يكفيه قوت يومه(60)، وفي الموصل احتفى به قاضيها أبو جعفر السمناني عندما رأى منه الذكاء والفتنة ودقة الفهم، ولم يكن حاله بحلب أقل منه بالموصل، فبعد أن عرف حالة أمير حلب معز الدولة قربه منه وأوكل إليه الإفتاء فعاش معزراً مكرماً(61).

رجع أبو الوليد الباجي إلى الأندلس بعد إلحاح أمه وأخوته عليه بالعودة إلى الديار، فخرج من حلب مستهل سنة (439هـ/1057م)، وقدم الأندلس بعلم كثير من نفس العام، فوجد الطوائف شيعاً مختلفة متنازعة، يتربص بهم العدو الدوائر، فصمم العزم على توحيد كلمتهم ولم شملهم، فمشى بين ملوكها لعله يلقي أذاناً مصغية وقلوباً واعية يدفعه في ذلك دينه وواجبه تجاه بلاده الأندلس، يحثهم على توحيد صفوفهم والوقوف في وجه عدوهم، وقد وصف موقف الباجي هذا المقرئ بقوله: "ولما قدم الباجي من المشرق إلى الأندلس بعد ثلاثة عشر عاماً وجد ملوك الطوائف أحزاباً متفرقة، فمشى بينهم في الصلح وهم يُجْلُونه في الظاهر ويستثقلونه في الباطن ويستبردون نزعتهم، ولم يفد شيئاً، فإله تعالى يجازيه عن نيته"(62)، كما وصف ابن بسام الباجي في مساعيه بين الطوائف بمؤمن آل فرعون(63)، كل ذلك لبيان مدى حرص الباجي وخوفه على دينه ووطنه، فعلا بذلك ذكره في الأندلس فقربه أمراء ورؤساء الطوائف وعظموا مكانه حتى أن المقنن بن هود صاحب سرقسطة كان يفخر بوجوده في بلاطه على غيره من ملوك الطوائف، وفي ذلك يقول ابن خاقان: "فتهادته الدول"(64) أي أن كل واحد من ملوك الطوائف كان يسعى إلى أن يكون الإمام الباجي مفخرة بلاطه لما له من مكانة عظيمة بين العلماء وطلبة العلم في كل أرجاء الأندلس.

انتقل الباجي من سرقسطة إلى شرق الأندلس متنقلاً بين بلنسية ودانية ومرسيه(65)، إلا أنه أكثر المقام في دانية والجزائر الشرقية لما لقيه من حفاوة من سيدها على إقبال الدولة العامري والذي قلده أمر

(58) الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، 5، ص192.

(59) البغدادي: تاريخ دمشق، 43، ص256.

(60) ابن بسام: الذخيرة، قسم 2، 1، ص81؛ المقرئ: نفح الطيب، 2، ص273؛ أنخل بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص425.

(61) ابن فرحون: الديباج المذهب، ص120؛ المقرئ: نفسه، 2، ص274.

(62) نفح الطيب، 2، ص77.

(63) الذخيرة: القسم 2، 1، ص81.

(64) قلاند العفيان، ص197.

(65) عياض: ترتيب المدارك، 2، ص349.

العدد السادس عشر - أبريل 2017

القضاء وجعله من خاصته وأهل مشورته كما مر سابقاً، أضف إلى ذلك إلحاح فقهاء المالكية عليه في جزيرة ميورقة بالبقاء والاستعانة به في النيل من خصمهم اللدود ابن حزم الظاهري، فدارت بين الباجي وابن حزم مناظرات فقهية كانت الغلبة فيها للباجي وانتهت بخروج ابن حزم من ميورقة كما سيتضح بالتفصيل في موضعه⁽⁶⁶⁾.

- مصنفاته الفقهية وتلاميذه:

ساهم الإمام أبو الوليد الباجي بدور عظيم في ازدهار الدراسات الفقهية في مملكة دانية والجزائر الشرقية وذاع صيته فيها، وقصده الطلاب من كافة أصقاع الأندلس، وعلى الرغم من انشغاله بالمساعي الحميدة بين ملوك الطوائف لتوحيد الصفوف ضد أعدائهم، وكثرة مجالسه ومناظراته العلمية بين كبار علماء عصره كابن حزم، وارتباطه بمهام التدريس والتعليم إلا أن ذلك لم يثنه عن التأليف والتصنيف في مختلف العلوم الدينية، فكان للفقه وأصوله النصيب الأوفر من هذه المصنفات جاءت على النحو الآتي:

1- إحكام الفصول في أحكام الأصول⁽⁶⁷⁾:

وهو كتاب قيم في مجاله فيما يتعلق بأصول المذهب المالكي، ويعد من أوائل كتب أصول الفقه المالكي ومن المصادر المهمة التي اعتمدها من جاء بعده من الأصوليين في مختلف العصور كالقرافي والونشريسي وغيرهم.

2- الحدود في أصول الفقه⁽⁶⁸⁾:

وهو كتاب يضم مجموعة من التعريفات بالمصطلحات المستخدمة عند علماء أصول الفقه ثم يتعرض لها بالشرح والبيان، وأحياناً ينقل بعض تعريفات شيوخه أو أصحابه ويتناولها بالنقد العلمي السليم دون أي تعصب مذهبي.

3- فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام⁽⁶⁹⁾:

الكتاب يتعلق بالأحكام التي يرجع إليها القاضي في التطبيق، كما أنه يتعلق بالقضاء والشهادات واليمين وإجراءات التداعي.

4- المنتقى في شرح موطأ مالك⁽⁷⁰⁾:

وهو اختصار لكتاب الاستيفاء للمؤلف نفسه ليكون أقرب للفهم لكل طالب علم، شرح فيه الباجي أحاديث موطأ مالك وقام بتفريغ المسائل الفقهية عليها سالماً مذهب الاجتهاد وإقامة الحجة، ويعد المنتقى من أنفس الكتب التي ألفت في فقه المذهب المالكي.

5- الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معرفة الدليل⁽⁷¹⁾:

وهو اختصار لكتاب: إحكام الفصول في أحكام الأصول، والكتاب على اختصاره وصغر حجمه فإنه مستوعب لمسائل أصولية نفيسة مفيدة للمبتدئ فيما يتعلق بأصول المذهب المالكي، حيث أشار فيه

(66) لطفي عبد البديع: الإسلام في أسبانيا، ص43؛ حسين مؤنس: شيوخ العصر، ص87.

C. van , ARENDONK : Art Ibn Hazm dans , E1 , P1 , 2.

(67) طبع بدار الغرب الإسلامي، بيروت، حققه وقدم له ووضع فهرسه الدكتور عبد المجيد تركي، الطبعة الأولى، 1986م.

(68) كتاب مطبوع بتحقيق الدكتور نزيه حماد، منشورات مؤسسة الزعبي للطباعة والنشر، بيروت، 1973م.

(69) طبع الكتاب بأمر من الملك الحسن الثاني وبغناية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دراسة وتحقيق الأستاذة الباتول بن علي، المغرب، 1410هـ.

(70) طبع بدار الكتب العلمية ببيروت، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، 1999م، ويتكون من تسعة أجزاء، وله طبعة قديمة في سبع مجلدات على نفقة السلطان عبد الحفيظ العلوي، نشرته مطبعة السعادة بمصر سنة 1331هـ/1913م.

(71) طبع بدار البشائر الإسلامية، قدم له وعلق عليه وحققه محمد علي فركوس، الطبعة الأولى، الجزائر، 1991م، ويقع الكتاب في مجلد واحد.

العدد السادس عشر - أبريل 2017

مؤلفه إلى أهم المسائل الأصولية، إشارة موجزة ومختصرة كما هو ظاهر من عنوان الكتاب، فبدأ المصنف بتعريف الاصطلاحات الأصولية المالكية على نحو ما هو موجود في كتابه: "الحدود في أصول الفقه"، مستدلاً بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع، ومشيراً إلى جملة من كلام العلماء الأفاضل من أئمة المالكية أمثال أبي إسحاق إسماعيل الجهزي الأزدي البصري المتوفي سنة (282هـ)، وأبي بكر الأبهر المتوفي سنة (375هـ)، وأبي الحسن علي بن عمر المعروف بابن القصار الشيرازي المتوفي سنة (398هـ)، وأبي بكر الباقلائي المتوفي سنة (403هـ) وغيرهم كثير.

كما توجد للإمام الباجي مصنفات أخرى في الفقه وأصوله بعضها أحال إليها الباجي في بعض كتبه الفقهية، والبعض الآخر جاء ذكرها في كتب التراجم والطبقات وعُدَّت في حكم المفقود؛ نوردتها على النحو الآتي:

- 1 - الاستيفاء شرح الموطأ⁽⁷²⁾.
- 2 - الإيماء مختصر المنتقى⁽⁷³⁾.
- 3 - السراج في عمل الحجاج⁽⁷⁴⁾.
- 4 - شرح المدونة⁽⁷⁵⁾.
- 5 - فرق الفقهاء⁽⁷⁶⁾.
- 6 - مختصر المدونة⁽⁷⁷⁾.
- 7 - المقتبس في علم مالك بن أنس⁽⁷⁸⁾.
- 8 - المذهب في اختصار المدونة⁽⁷⁹⁾.
- 9 - الناسخ والمنسوخ في الأصول⁽⁸⁰⁾.

لقد تسابق طلاب العلم من شرق البلاد الإسلامية وغربها وتنافسوا في الأخذ عن الإمام أبي الوليد الباجي، فتوافوا عليه من أبعد الأقاليم فضلاً عن أدناها داخل بلده وخارجها، كما أن تنقلاته المتعددة بين حواضر الأندلس سهلت للعديد من طلاب العلم الأخذ والرواية عنه، فتخرج على يديه نخبة من العلماء والحفاظ في الفقه والأصول والحديث والعقيدة والتفسير ممن انتفعوا بعلمه وتأثروا به، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- 1 - إبراهيم بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الباجي القرطبي أخو أبي الوليد الباجي، سكن معه ميورقة وأخذ عنه العلم⁽⁸¹⁾.

(72) الباجي: المنتقى، 1، ص 201-202؛ عياض: ترتيب المدارك، 2، ص 350.
(73) الحموي: معجم الأديباء، 3، ص 1388؛ الذهبي: السير، 18، ص 538؛ ابن فرحون: الديباج، ص 121.
(74) عياض: ترتيب المدارك، 2، ص 350؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، 3، ص 1180.
(75) الداودي: طبقات المفسرين، 1، ص 210؛ ابن فرحون: الديباج، ص 122.
(76) ابن الأبار: التكملة، 1، ص 181؛ السبتي: مستفاد الرحلة والاعترا، ص 323؛ المقرئ: نفح الطيب، 2، ص 275.
(77) الكنتي: فوات الوفيات، 2، ص 64؛ مخلوف: شجرة النور الزكية، 1، ص 121.
(78) عياض: ترتيب المدارك، 2، ص 360؛ ابن فرحون: الديباج، ص 122.
(79) الحموي: معجم الأديباء، 3، ص 1388؛ الداودي: المفسرين، 1، ص 210.
(80) عياض: ترتيب المدارك، 2، ص 350؛ ابن فرحون: الديباج، ص 122.
(81) ابن الأبار: التكملة، 1، ص 138.

العدد السادس عشر - أبريل 2017

- 2 - أبو القاسم أحمد بن سليمان بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي ابن الإمام الباجي أخذ عن والده، توفي سنة (493هـ/1099م)⁽⁸²⁾.
- 3 - أبو علي الحسين بن أحمد الغساني الجياني الأندلسي، أخذ عن الباجي وابن عبد البر وغيرهم، وعنه أخذ القاضي عياض وابن فرحون، برع في الحديث وعلوم اللغة والأنساب، توفي سنة (498هـ/1104م)⁽⁸³⁾.
- 4 - أبو علي حسين بن محمد بن فيرة بن سكرة الضدقي السرقسطي المعروف بابن أبي سكرة، أخذ عن الباجي بسرقسطة، واشتهر برواية الحديث ومعرفة طرقه ورجاله، قتل في موقعة فُتْدَة⁽⁸⁴⁾ قرب سرقسطة سنة (514هـ/1120م)⁽⁸⁵⁾.
- 5 - أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان الطرطوشي ويعرف بابن أبي رندقة، التقى بأبي الوليد الباجي في سرقسطة وأخذ عنه الفقه، كان عالماً بالفقه ومسائل الخلاف والأصول والفرائض والآداب توفي بالإسكندرية سنة (520هـ/1126م)⁽⁸⁶⁾.
- 6 - أبو جعفر أحمد بن علي بن غزلون التيطلي، وهو من كبار أصحاب الإمام الباجي، توفي سنة (520هـ/1126م)⁽⁸⁷⁾.
- 7 - أبو عبدالله محمد بن أبي نصر بن فتوح بن عبدالله الحميدي الميورقي، روى عن ابن حزم وابن عبد البر وأبي الوليد الباجي قبل رحلته للمشرق⁽⁸⁸⁾.
- 8 - أبو القاسم خلف بن سليمان بن خلف بن فتحون الأوريولي، أخذ الفقه عن الإمام الباجي في دانية، تولى القضاء في شاطبة ثم دانية، وكان أديباً شاعراً فاضلاً، توفي سنة (505هـ/1111م)⁽⁸⁹⁾.
- 9 - أبو محمد عبدالله بن إبراهيم بن جراح الكتاني السبتي، كان عالماً بالفقه والتوحيد، وكثيراً ما كان الباجي يستخلفه على تدريس أصحابه عند السفر، توفي سنة (470هـ/1077م)⁽⁹⁰⁾.
- 10 - أبو القاسم أحمد بن إبراهيم المرسي المعروف بابن أبي ليلى، روى عن الإمام أبي الوليد الباجي، كان بصيراً بالفتوى والأحكام، تولى قضاء مدينة شلب غرب الأندلس، وظل بها قاضياً حتى وفاته سنة (514هـ/1120م)⁽⁹¹⁾.
- 10 - أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالله الخشني المرسي، سمع من أبي الوليد الباجي الفقه، وكان بصيراً بالفتوى والأحكام حافظاً للحديث عارفاً بالتفسير، وكان معظماً عند أهل بلده بمرسية، توفي سنة (520هـ/1126م)⁽⁹²⁾.

(82) ابن بشكوال: الصلاة، 1، ص74؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، 1، ص836 .
(83) عياض: الغنية، صص138-140؛ الضبي: بغية الملتبس، صص277-278.
(84) في هذه الواقعة انتصرت قوات الفونسو المحارب على قوات المسلمين المراقبة قرب سرقسطة سنة (514هـ)، وفيها استشهد الآلاف ومن بينهم العلماء والفقهاء = خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم بالأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م، ص262.
(85) ابن بشكوال: الصلاة، 1، صص131-134؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ص104؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، 4، ص1255.
(86) ابن بشكوال: الصلاة، 2، ص449؛ المقرئ: نفح الطيب، 2، ص85 .
(87) ابن بشكوال: الصلاة، 1، ص78.
(88) سبق وأن تقدم التعريف به في معرض الحديث عن علم الحديث.
(89) ابن بشكوال: الصلاة، 1، ص153.
(90) ابن بشكوال: نفسه، 1، ص248.
(91) الضبي: بغية الملتبس، ص170؛ ابن فرحون: الديباج، ص45.
(92) ابن بشكوال: الصلاة، 1، ص224.

العدد السادس عشر - إبريل 2017

- 11- أبو داود سليمان بن أبي القاسم نجاح،** سكن دانية ولازم العلماء الكبار كأبي عمرو الداني، وابن عبد البر، والباجي، روى عنهم العلم، وتصدر للإقراء في مملكة دانية والجزائر الشرقية بعد وفاة شيخه أبي عمر الداني⁽⁹³⁾، قال عنه ابن بشكوال: "كان ديناً فاضلاً ثقة فيما رواه"⁽⁹⁴⁾ توفي سنة (496هـ/1102م)⁽⁹⁵⁾.
- 12- أبو الحسن طاهر بن مفوز بن أحمد بن مفوز المعافري الشاطي الحافظ،** سمع من أبي الوليد الباجي، وكان من أهل العلم والفضل، اشتهر برواية الحديث وحفظه، توفي سنة (484هـ/1091م)⁽⁹⁶⁾.
- 13- أبو الحسن محمد بن واجب بن عمر القيسي البننسي،** قرأ صحيح البخاري على أبي الوليد الباجي في بننسية، توفي سنة (519هـ/1125م)⁽⁹⁷⁾.
- 14- أبو بكر محمد بن الوليد بن عمر بن خلف الفهري الطرطوشي،** لزم أبا الوليد الباجي بسرقة وأخذ عنه مسائل الخلاف وأثبت روايته في كتبه، كان يلقب بالأستاذ، توفي سنة (520هـ/1126م)⁽⁹⁸⁾.
- 15- أبو علي منصور بن الخير بن يعقوب المالقي،** التقى بأبي الوليد الباجي بأشبيلية وجالسه وأخذ عنه، توفي سنة (520هـ/1126م)⁽⁹⁹⁾.
- 16- أبو محمد عبدالله بن علي بن أحمد بن علي اللخمي الشاطبي،** حفيد الإمام أبي عمر بن عبد البر النمرى، أخذ العلم عن جده ابن عبد البر، كما سمع من الإمام الباجي بشاطبة وروى عنه، توفي سنة (532هـ/1137م)⁽¹⁰⁰⁾.
- وفاته وثناء العلماء عليه:**

بعد أن قضى الإمام أبو الوليد الباجي حياة جهادية من أجل تحصيل العلم ونشره تعليمًا وتأليفًا ومناظرة، إضافة إلى جهوده الحثيثة لدعوة حكام الطوائف إلى الوحدة ونبذ الأحقاد والالتفاف حول إخوانهم المرابطين بالمغرب ضد عدوهم المشترك الفونسو السادس ملك فتشالة الذي كان يتربص بمسلمي الأندلس الدوائر؛ انتهى به المطاف أخيراً في مدينة المرية حيث أدركته منيته قبل أن يتم غرضه من تلك المساعي، ليلة الخميس في التاسع عشر من رجب سنة (474هـ/1081م)، ودفن يوم الخميس بعد صلاة العصر، وصلى عليه ابنه أبو القاسم⁽¹⁰¹⁾.

أفل نجم الإمام الباجي أحد العلماء الكبار في الأندلس، فقد كان مثلاً جلياً للحركة العلمية المزدهرة في عصره، أثنى عليه أقرانه ومعاصروه ومن ترجم له، كلهم يشهد له بجلال القدر والعلم والفضل وصلاح الدين والخلق، فهذا ابن حزم الظاهري أشد خصومه يقول فيه: "لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد

(93) ابن الجزري: طبقات القراء، 1، ص287.
(94) الصلة: 1، ص178.
(95) نفس المصدر والمكان.
(96) الحنبلي: شذرات الذهب، 3، ص371.
(97) ابن بشكوال: الصلة، 2، ص449؛ ابن الأبار: التكملة، 2، ص697.
(98) الأصبهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، 2، ص290؛ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 2، ص424؛ المقرئ: أزهار الرياض، 3، ص162.
(99) ابن بشكوال: الصلة، 2، ص481.
(100) ابن الأبار: التكملة، 2، ص812.
(101) عياض: ترتيب المدارك، 2، ص351؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، 2، ص409؛ الحميري: الروض المعطار، ص75؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، 3، ص1178؛ الكتبي: فوات الوفيات، 2، ص64؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 5، ص114؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ص441؛ المقرئ: نفح الطيب، 2، ص282؛ القنوجي: التاج المكلل، ص56؛ الكتاني: الرسالة المستطرفة، ص154؛ حسين مؤنس: شيوخ العصر في الأندلس، ص76.

العدد السادس عشر - أبريل 2017

القاضي عبد الوهاب مثل أبي الوليد الباجي⁽¹⁰²⁾، وقال عنه الوزير أبو محمد بن عبد البر على لسان علي بن مجاهد العامري أمير دانية يخاطب المظفر أمير بطليوس: "أبو الوليد الباجي غذى نعمتك ونشأة دولتك، هو من أحاد عصره في علمه وأفراد دهره في فهمه..."⁽¹⁰³⁾، وأثنى عليه الحافظ الحميدي الميورقي بقوله: "حضرت مجالسه وكان جليلاً رفيع القدر والخطر، متكلم فقيه أديب شاعر"⁽¹⁰⁴⁾، ووصفه تلميذه أبو علي الجبائي الغساني الحافظ قائلاً: "وَجَلَّ قدره بالمشرق والأندلس، وسُمِعَ منه بالمشرق، وحاز الرئاسة بالأندلس، وسمع منه جماعة وتفقه عليه خلق كثير"⁽¹⁰⁵⁾، وقال عنه تلميذه أبو علي بن سكرة الصديقي: "ما رأيت مثله وما رأيت على سمته وهيئته وتوقير مجلسه، وهو أحد أئمة المسلمين لا يسأل عنه مثله"⁽¹⁰⁶⁾، ووصفه ابن خاقان فقال: "بدر العلوم اللائح وقطرها الغادي الرائح وثبيرها الذي لا يزحم ومنيرها الذي ينجلي به ليلها الأسحم، كان إمام الأندلس الذي تقتبس أنواره وتنتجع أنجاده وأغواره، قطف من العلم أزهراً، وتقنن في اقتنائه، وثنى إليه عنان اعتنائه حتى غدا مملوء الوطاب، وعاد بلح طلبه إلى الأرطاب، فكر إلى الأندلس بحر لا تخاض لجبهه، وفجر لا يطمس منهجه، فتهادته الدول وتلقته الخيل والخول"⁽¹⁰⁷⁾، وقال فيه القاضي عياض: "كان أبو الوليد رحمه الله فقيهاً نظاراً محققاً راوية محدثاً يفهم صنعة الحديث ورجاله، متكلماً أصولياً فصيحاً شاعراً حسن التأليف معين المعارف، له في هذه الأنواع تصانيف مشهورة جلية، ولكن أبلغ ما كان فيها في اللغة والفقه"⁽¹⁰⁸⁾، ووصفه العماد الأصبهاني فقال: "إمام في الأصول والفروع، كان فقيه الأندلس وإمامها الذي جلى بنور علمه ظلامها"⁽¹⁰⁹⁾، وقال فيه الضبي: "فقيه محدث إمام متقدم مشهور، عالم متكلم، وله تواليف تدل على معرفته وسعة علمه"⁽¹¹⁰⁾، وأثنى عليه الحافظ الذهبي قائلاً: "الحافظ العلامة ذو الفنون"⁽¹¹¹⁾، وجاء عن النباهي في معرض كلامه عن الباجي قوله: "والقاضي أبو الوليد هذا من القوم الذين سما ذكرهم بعد وفاتهم وانقضاء أمر حياتهم، فبهرت ولايتهم واشتهرت في الأفاق درايتهم"⁽¹¹²⁾، وقال الحافظ السيوطي: "الإمام أبو الوليد الباجي الفقيه الأصولي المتكلم المفسر الأديب الشاعر، برع في الحديث والتفسير والفقه والأصليين، ورجع إلى الأندلس بعد ثلاث عشرة سنة بعلوم كثيرة، وتصدر للإفادة وانتفع به جماعة كثيرة"⁽¹¹³⁾، وأشاد بذكره المقرئ فقال عنه: "ومما يفتخر به أنه روى عنه حافظا المغرب والمشرق أبو عمر بن عبد البر، والخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادي، وناهيك بهما وهما أسن منه وأكبر"⁽¹¹⁴⁾، ووصفه محمد مخلوف: "بالفقيه الحافظ النظار العالم المتفنن المؤلف المتقن المتفقق على جلالته علماً وفضلاً وديناً"⁽¹¹⁵⁾.

(102) ابن بسام: الذخيرة، القسم 2، 1، ص81؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ص121.

(103) ابن بسام: نفسه، 1، ص82.

(104) ابن ماكولا: الإكمال، 1، ص468.

(105) عياض: ترتيب المدارك، 2، ص348.

(106) عياض: نفسه، 2، ص349؛ اليافعي: مرآة الجنان، 3، ص108.

(107) قلاند العقبان، ص196.

(108) ترتيب المدارك، 2، ص348.

(109) خريدة القصر، 3، ص472.

(110) بغية الملتبس، ص303.

(111) تذكرة الحفاظ، 3، ص1179.

(112) المرتبة العليا، ص95.

(113) طبقات المفسرين، ص13.

(114) نفح الطيب، 2، ص277.

(115) شجرة النور الزكية، 1، ص120.

- الخاتمة:

خلاصة القول لقد ازدهرت الدراسات الفقهية في الأندلس إبان القرس الخامس الهجري ويتضح ذلك جليا من خلال المصنفات الفريدة التي صنفت في مجال الفقه وأصوله مع تنوع مذاهبها الفقهية الأمر الذي يبدوا غريباً إذا قيس على ممالك الطوائف الأخرى، وذلك نتيجة التنوع المذهبي السني شرق الأندلس والتي أطلقها حكام دانية الأندلسية طيلة فترة حكمهم

لقد أسهم الفقيه الباجي في نشر المذهب المالكي تدريسا وتأليفا وأراد أن يخطو بالفقه المالكي خطوات واسعة والذي اشتهر معظم رجاله في عصره بالتقليد، لذا رأيناه يبسط ويشرح وينقح ويختصر ليقدم مشروعه الفقهي المالكي الذي كان يفتقد إلى الاجتهاد وقتها، ولاستكمال مشروعه الفقهي في تحرير المذهب المالكي من التقليد رأيناه يجلس لتدريس الطلاب الذين تسابقوا إليه من شرق البلاد الإسلامية وغربها وتنافسوا في الأخذ عنه، فتوافدوا عليه من أبعد الأقاليم فضلاً عن أدناها داخل بلده وخارجها، كما أن تنقلاته المتعددة بين حواضر الأندلس سهلت للعديد من طلاب العلم الأخذ والرواية عنه، فتخرج على يديه نخبة من العلماء والحفاظ في الفقه والأصول والحديث والعقيدة والتفسير ممن انتفعوا بعلمه وتأثروا به، ولعل آثاره الفقهية التي تمتلئ بها المكتبات الخاصة والعامة في شرق بلادنا الإسلامية وغربها خير شاهد على جهود الإمام الباجي في العناية بالفقه المالكي شرحاً واختصاراً تدريساً وتعليماً فجزاه الله خير الجزاء على جهوده العظيمة في خدمة السنة والدفاع عنها ونشرها وبيانها للناس فمازالت كتبه رحمه الله منهل عذب لكل دارس للفقه المالكي وأصوله إلى وقتنا الحاضر.